

الدكتور

أحمد فريد

توزيع



الإسكندرية أبو سليمان ش عمر
أمام مسجد الخلفاء الراشدين
٠١٠٠٦٧١٤٧٦٨ - ٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦

دار الفتح الإسلامي

الإسكندرية مصطفى كامل
بجوار مسجد الفتح الإسلامي
٠١٠٠٥٠١٣١٥١ - ٠١٠٩٤٥٥٥١٥٧



حقوق الطبع محفوظة

اسم الكتاب: وداعًا أم زيد

اسم المؤلف: د. أحمد فريد

القطع: ١٢×١٧ سم

عدد الصفحات: ٣٢ صفحة

سنة الطبع: ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

الطبعة: الأولى

رقم الإيداع

١٢٤٤٥ / ٢٠١٥

دار الخلفاء الراشدين

طبع • نشر • توزيع

الإسكندرية أبو سليمان ش عمر أمام مسجد الخلفاء الراشدين

الإدارة: ٠١٠٠٥٠١٣١٥١ - المبيعات: ٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

نسأل الله -تعالى- حسن الخاتمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا-.

ثم أما بعد:

فمنذ أن رحلت أم زيد عن الدنيا، وتركتني وحيدًا فريدًا، وأنا أفكر في كتابة هذه الرسالة، أبثُّ فيها أشجاني وأحزاني، أكتبها بدقات قلبي ودموع عيني، وقد مضى

ما يقرب مِنْ ثلاثة أشهر على فراقها.

أكتب هذه الرسالة وفاءً لها، وقيامًا بحقها، وأحتسب فيها نصيحة لإخواني وأخواتي، فقد كانت أم زيد مثالًا للزوجة الصالحة، التي تقوم بحق ربها، وحق زوجها، وحق أولادها، كانت تقية نقية كما أحسبها -والله حسيبها-، تعرف كيف تعامل زوجها، وتستميل قلبه، وتملك مشاعره وأحاسيسه، وأحسب أنني كنت معها كذلك وفيًّا صادقًا، أُقدِّر مشاعرها، وأثمِّن جهدها وبذلها، وأعرف قدرها، استشعرنا جميعًا معنى قول الله ﷻ: ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم:٢١]، والمودة هي المحبة، أي الحب بين الزوجين، والرحمة أن يرحمها وأن ترحمه، بالرفق واللين والإيثار والتقديم، وقد تمنن الله ﷻ على الزوجين بهذه النعمة العظيمة ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾.

كـم تكـون الحيـاة طيبـة بيـن الزوجيـن مـع المودة والرحمة، كم يسـعد هو بها، وتسـعد به، كم يسكن إليها وتسـكن إليه، والسـكن يكون بالقلـب والنفس، قبل أن يكون الـزواج إشـباعًا لغريزة يشـترك فيها الإنسـان مع البهائم.

وأنا أكتب هذه الرسـالة بقلمهـا الذي كانت تكتب به دروس التجويد الذي عشـقته، وفـي أوراقها التي كانت تكتـب فيها، حتى تشـاركني في ثواب الرسـالة، وأرجو من القـارئ الكريم أن يعذرني على تبعثر أفكاري وعدم ترتيـب خواطـري، فالرسـالة ليسـت درسًـا أكاديميًـا، ولكنها مشـاعر وأحاسـيس أبثُّها وأثبتهان لعل الله ينفع بهـا، ولعلهـا تعالج شـيئًا مـن المشـاكل الزوجيـة التي يعانـي منها كثير مـن الإخوة والأخوات، بسـبب الحياة الجافـة، الخالية مـن المحبـة والرحمة، فغيـاب الحب

بيـن الزوجين، وحـرص كل واحد منهمـا على مصلحة الآخر، سـبب لكثير من هذه المشـاكل، التـي تنتهي في كثير من الأحوال بالطلاق، وقد قلت مرارًا، وأقول الآن: لا زواج إلا بحـب أي لا يكـون الزواج موفقًا والزوجان سعداء إلا بحب.

كـذا لا يكـون حـب بـدون زواج؛ لأنه قـد يوقع في الفاحشة الكبرى -نسأل الله العافية-.

إلى هذا الحد لم أبدأ قصتي مع أم زيد -رحمها الله، وقصتهـا معي ومن أصعـب الأمور أن يتكلـم العبد عن نفسه وعن تجربته وأن يكون في ذلك مخلصًا، لا يقصد إلا وجه الله عز وجل، وسـوف أجاهد نفسـي، -وأسـأل الله تعالـى الإعانـة- حتى أكـون في ذلك مخلصًـا، -اللهم ارزقني الإخلاص-.

* * *

١- قصة زواجي من أم زيد -رحمها الله-

وهذه بداية القصة حتى لا يمل القارئ قبل بدايتها ..

كنت أبحث عن زوجة ثانية، إحياءً لسنة التعدد، وعملًا بقول الله ﷻ: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء:٣]، وهذا أمر إلهي، وأدنى درجات الأمر الاستحباب.

وعملًا بقول النبي ﷺ: «وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي، فليس مني»[1]، وبقوله ﷺ: «فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج»[2].

ولا شك في أن الزواج الأول إعانة على غضِّ البصر وحفظ الفرج، والمتعدد مزيد من الإعانة كما أشار إلى

(١) رواه البخاري (٥٠٦٣) النكاح.

(٢) رواه البخاري (٥٠٦٥) النكاح.

ذلك العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وروى البخاري بسنده عن سعيد بن جبير قال: قال لي ابن عباس: هل تزوجت؟ قلت: لا. قال: فتزوج، فإنَّه خير هذه الأمة، أكثرها نساءً»[١].

وقد يراد بخير الأمة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أكثرها نساءً، وقد يراد كبار الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وهم كذلك فثبتت الأفضلية.

وقال الإمام أحمد: «هذا زمان يتزوج فيه الرجل أربع نسوة ليعفَّ نفسه».

فعلى كل حال تعدد الزوجات مطلب شرعي، وضرورة اجتماعية لكثرة المطلقات والعوانس، وفيه بذلٌ وشهامةٌ وتضحيةٌ من الرجل، إلى غير ذلك من الحِكم البالغات في تعدد الزوجات[٢].

(١) رواه البخاري (٥٠٦٩) النكاح.
(٢) انظر رسالة «الحكم البالغات في تعدد الزوجات» للمؤلف.

أعود إلى قصة زواجي من أم زيد -رحمها الله-:

بـدأت في البحث عن زوجـة صالحة ولم يطل بحثي حيث أرشدني أحد إخواني الكرام إلى أم زيد، وأخبرني بأنها صالحة وسـتعجبني، بالفعل ذهبت إليها في إحدى قرى مركز «إيتاي البارود»، وتسمى «ششت الأنعام».

وأم زيد زيد مطلقة من خمسة أعوام، وعندها طفلان، زيد وخديجة، -أسـأل اللـه أن يبارك فيهمـا، وأن رحم أمهما-.

ومن خلف الكواليس أخبرتني أم زيد بعد أن تزوجتها أنها أحسـت بفرح شديد عندما علمت أنني سوف أتقدم لخطبتهـا، ومـن عادتها أنها كانـت تستشـعر الخير قبل حصولـه، وتفرح به، وأيضًا تستشـعر الشـر قبل حلوله، وتخاف منه.

وأخبرني أخوها «ياسر» بعد وفاتها بأنها قالت: سوف أكون خادمة للشيخ عشرة أشهر، ولعلها حددت هذه المدة للفرق بيننا في السن، وبالفعل خدمتني عشرة أشهر ولكنها هي التي رحلت -رحمها الله-.

وكانت أم زيد متزوجة قبلي من شاب من أقاربها قريب من عمرها، ولكنه كان يسيء معاملتها، عاشت معه أربع سنوات ثم طُلقت، فمكثتْ مع طفليها تسكن في غرفة من بيت أبيها، وفتحت كُتَّابًا لتحفيظ الأطفال القرآن، حتى تنفق على طفليها، ولم تكن ترغب في الزواج، لتجربتها الأولى، ولم يرها أحد قبل أن أتقدم لخطبتها.

بحمد الله تم عقد الزواج بعد أسبوع تقريبًا من خطبتها، وأخبرتني بعد العقد بأنها رأت ما حدث في

الرؤيا قبل عشـرة أعوام -أي: قبل الزواج الأول- رأت أنهـا واقفـة فـوق جبل، وهـي متعبـة وتريد النـزول فلا تسـتطيع، ثم تمكنت من النزول، فإذا برجـل يلبس ثيابًا بيضاء، وبجـواره امرأة تلبس ملابس سـوداء، ولا يظهر منها شـيء، وفي يد الرجل إناء من فخـار فيه لبن، فقدم لها الإناء وقال: اشربي. فقالت: من أين شرب النبي ﷺ فأشار إليها إلى المكان الذي شرب منه، فشربت، تقول: وتذكرت أبا معبد، وأم معبد رضي الله عنهما .

والعجيـب أنني ذهبت إليها في المرة الأولى بقميص أبيـض وغطـرة بيضاء، واللبـن يؤول في الرؤيـا بالعلم، لكثرة منافع العلم، وكذلك كثرة فوائد اللبن، ويظهر من قولها: «أين شرب النبي ﷺ» حرصها على السنة.

تـم الزفاف بعد أسـبوع آخـر تقريبًا، وكانـت الأمور

تسـير من الحسـن إلى الأحسـن، وكأنني وجدت في أم زيـد ما كنـت أبحث عنـه، وكـذا وجدت هي مـا كانت تبحـث عنـه، وافتقدته فـي زواجهـا الأول. ولذا حصل الأنس والانسجام والمودة والرحمة بيننا سريعًا.

وكنـت قبـل العقـد قلـتُ لها: «سـوف أكـون عندك يومـان فـي الأسـبوع»، فقالـت لـي: «مفيـش بيـات؟» فقلـت: «ربنـا يسـهل»، والحمـد للّـه قبل وفاتهـا كنت أبيـت معهـا ثـلاث ليـالٍ، وأربعة أيـام ورحمـة الله ﷻ بالعبد أكبر من رحمته بنفسه، لأنه ﷻ أرحم الراحمين، قال موسى لأهله: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾ [طه: ١٠] فعاد بالنبوة.

❋ ❋ ❋

٢- أم زيد عابدةٌ وزوجةٌ وأُمٌ لأولادها

كنت أستشعر في أم زيد الصدق والورع، وكنت أقول لهـا: أنت أفضل مني، الأمر ليس بالشـهرة، أنت تقومين بحـق الله ﷻ وحق الـزوج، وحـق الأولاد فتقول: «أنا مقصـرة في حق اللـه ﷻ». كانت أم زيـد تطيل الصلاة جـدًا، وتعطي كل ركن في الصلاة حقـه من الاطمئنان، وكـذا في قراءة القرآن تعطي كل حرف حقه ومسـتحقه، وكانـت تقوم الليل كلما وجدت طاقة وكانت محبة جدًا لعلـم التجويد وتحفـظ في متن الشـاطبية، وكانت على ورع لـم أر مثلـه، كنـت إذا أحضـرت لها شـيئًا من بيت أولادي ترفض أن تأخذه وتقول: «هذا اشترته أم الأولاد من مصروفها الذي أعطيته لها»، فأقول لها: «هذا مالي»،

وهذا مالي فترفض أن تستعمله، فأضطر إلى استعماله، فكانت تعرف حق الله عَزَّ وَجَلَّ.

وأما حق زوجها فكانت تحفظ حق الزوج عليها، وتقول كثيرًا: «هو جنتك ونارك» بخلاف كثير من الزوجات يحفظن حقهن على الزوج، ولا يعرفن حق الزوج عليهن.

لم أختلف مع أم زيد طوال العشرة أشهر إلا مرتين، ولم يطل الخلاف أكثر من خمس دقائق، أعتذر إليها، وأبين لها وجهة نظري فتقول: «خلاص»، ونعود إلى الألفة والمحبة مرة ثانية، وأذكر أنني قلت لها كلامًا وخشيتُ أن تزعل منه، فقلت لها: «زعلتِ؟» فقالت: «أنا عزمت أن لا أزعل منك مهما قلت، لأنني عرفت أنك طيب، ولا تقصد إلا الخير»، -جزاها الله خيرًا-.

ولا أذكـر لأم زيد أنها تكلمت يومًـا بكلام أغضبني، كانت موفقةً دائمـًا .

كنـت أحبها لأني أراها زوجة صالحـة، وأحبها أيضًا في الله، لما أرى من طاعتها لله عز وجل .

كانت أم زيد تستيقظ في الصباح فتجهز خديجة وزيد للمدرسـة والحضانة، ثم تنظف بيتهـا ثم تجلس تراجع القـرآن، أو تكتـب دروس التجويـد حتـى أسـتيقظ من نومـي، فتجهز لي طعام الإفطـار فكانت تحضر لي على الإفطار كل ما تعلم أننـي أحبه، مهما كان الثمن، بحيث لا أفقد شيئًا مما أحبه.

وكانت خدمتهـا لي لا تؤثر علـى خدمتها لأولادها، واهتمامها بنظافتهم ودراسـتهم، فكانـت تعطي كل ذي حـق حقه، وكانت تقف أكثر من سـاعة في نهاية الحمل

فـي كيِّ ملابسـي، وأنا أقـول لهـا: «فيه مشـقة عليكي» فتقـول: «أنا سـعادتي فـي خدمتك»، -جزاهـا الله عني خيرًا-.

* * *

٣- وجعل بينكما مودةً ورحمةً

كانت حياتنا تتسم بالمـودة والرحمة، كنت لا أبخل عليهـا بجهد أو مال أو كلمة طيبـة، وهي كذلك لم تكن تألوا جهدًا أو خدمة أو كلمة طيبة.

كانـت سـعادتي فـي إدخـال السـرور عليهـا وعلـى أولادهـا، لو أهدى لي أحدٌ شـيئًا أبخل به على نفسـي، وأحضره لهـا ولأولادها، وأنا أُسَـرُّ بذلك، وكنت أقول لها: «إن الله عَزَّوَجَلَّ خلقني لأسـعدك»، فتقول: «الله يرضى عنك»، -جزاك الله عني خير الجزاء-.

خرجنا إلى العمرة بعد أربعة أشهر تقريبًا من الزواج، وكنـت فـي غايـة السـعادة وأنـا أجلـس بجوارهـا فـي الطائرة، وفي السيارة، وأنا أطوف معها بالكعبة وبالصفا

والمـروة، وتاهـت مني في السـعي في أول شـوطٍ من السـعي وتضرعت إلى الله ﷻ، وشـربت مـاء زمزم بنية أن أجدها فوفقت للقائها -بحمد الله- في بداية الشوط الرابـع، فأتممنـا معًا السـعي، وكنت أشـعر بصدقها في الدعـاء، ويعلم اللـه ﷻ كم كانت سـعادتي وهي تختار الهدايـا وأنا أدفـع الثمن، وكنت في غاية السـرور لأنني حققت لها أمـل حياتها من رؤية الكعبـة، وأداء العمرة، فمكثنا عشرة أيام هي أسعد أيام العمر.

كنـت أتصـل بها كثيرًا فـي فترات غيابـي عنها، لأنها كانت لا تصبر كثيرًا على فِراقي، وكنت أستشـعر حزنها وأنا أريد إتمام المكالمة.

وكانـت إذا وضعـت رأسـها علـى كتفـي أقـول لها: «ماتناميـش» فتقول: «مـش هانام»، وبعـد دقيقة واحدة

تنام، فأقول لها بعد أن تستيقظ: «مش قلت لك ماتناميش». فتقول: «أنا بحس معك بالأمان».

كانت لا تبخل عليَّ بالكلمة الطيبة كانت تقول لي: «عينيك كلها ذكاء»، وأحيانًا تقول: «إنت النهاردة وشك منور أكثر من الأول».

وأنا أقول ذلك: نصيحة للأخوات اللاتي لا تذكر خيرًا تراه بزوجها، وتكتفي بانتقاده وإحصاء عيوبه، وإيقاعه في الخطأ مهما أمكن.

وكنت في المقابل لا أبخل عنها بالكلام الطيب، فأقول لها: «إيه الجمال ده، والله العظيم زي القمر»، وكانت إذا تأخرت في المطبخ أقول لها: «وحشتيني»، وقد قال النبي ﷺ: «والكلمة الطيبة صدقة».

وقال بعضهم:

بـنـي إنَّ الــبــرَّ شــيــئٌ هــيــنٌ
وجــهٌ طـلـيـقٌ ولــســانٌ لـيـنٌ

والبر حسن الخلق، وأولى الناس بالكلمة الطيبة وبحسن الخلق أقرب الناس، وهي الزوجة، فنصيحتي لإخواني وأخواتي أن لا يبخل كل واحد منهما على الآخر بالكلمة الطيبة.

كنت أمزح معها أحيانًا وكانت ترد ردودًا تدل على الذكاء والحب، قالت لي يومًا: «أنا مش حاسه بالفرق في السن». فقلت لها: «إيه يعني ثلاثين سنة، دي فركة كعب».

وكانت تغضب إذا قلت لها أنا كبير في السن، فأقول لها: «طيب إنت الكبيرة في السن» فتقول: «كده ماشي».

نقلت لها مرة قول بعضهم بأنَّ أكثر الرجال لا تكفيهم

امـرأة واحدة وزدت فـي الخبر من عنـدي: «أقل حاجة ثلاثة». فقالت: «يا نهار إسود».

وقالت لي مرة: «اللحمة في إيتاي بخمسـة وسـبعين جنيهًـا»، فقلـت لهـا: «إيتـاي دي مـا يجيـش منهـا أي حاجـة»، فقالت: «إيه». لأنها مـن إيتاي. فقلت لها: «إلا العرايس». فضحكت.

وكانت تقول: «نفسي بنتنا تبقى دمها خفيف زيك».

وكانت تقول: «نفسـي تكون شكلك»، وأنا أقول لها: «نفسي تكون شكلك».

وكنا قد اتفقنا على تسـمية المولودة صفية، على اسم أم المؤمنيـن صفيـة بنت حيي ﵂، ولكـن بعد وفاة أم زيـد طلب منـي أخوها أنْ تُسـمى المولودة سـحر على اسـم أمها، فوافقتـه على ذلك، وهي فـي حضانة جدتها

أم أمها، وهي امرأة صالحة مؤتمنة -أسأل الله أن يبارك في عمرها-، وهي تقول عن سحر الصغيرة: «هي اللي مصبرانا».

أسأل الله أن يرحم زوجتي سحر، وأن يبارك في ابنتي سحر، وفي جميع أولادي وأولاد المسلمين.

❊ ❊ ❊

٤- وفاتها -رحمها الله-

كانت أم زيد تخشى أن أموت قبلها، فلا تتحمل هول المصيبـة، فكانت تقول لـي: «أنا ها أمـوت قبلك، مش بالسـن». فكنت أقول لها -على سـبيل المداعبة أيضًا- «نموت في يوم واحد، أنا الصبح وإنت بعد الظهر، إبكي عليَّ نصف يوم، كتير عليَّ».

فتقول: «حرام عليك، والله ما أقدر»، ولم أشـعر أنها سترحل عني بعد قليل.

حَسَّنْتَ ظنَّكَ بالأَيَّام إذ حسنت
ولم تخفْ سوءَ ما يأتي به القدرُ
وسَالمتكَ اللَّيالي فاغتررتَ بِهَا
وَعِندَ صَفْوِ الليَالي يحدثُ الكدَرُ

«ومـن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحدٌ عطاءً، خيرًا وأوسع من الصبر».

كل مـا تمنتـه أم زيـد أو سـألته تحقـق لهـا، حتى في رغبتها في أن تموت قبلي.

رأت أم زيـد عدة رؤًا تدل علـى قصر عمرها، وقرب أجلها، ولكنني لم أوفق لتفسـيرها بذلك، ولكن فسرتها الأيام والليالي.

قالـت لي يومًا: «أنا رأيت أنني أسـكن في بيت بدون شـبابيك». فلم أفهم من ذلك شـيئًا، وأنا صاحب كتاب في تعبير الرؤيا.

فقلت لها: «هذا حلم من الشـيطان، ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وأنا بـ أخاف عليكي من الهوا».

ولكـن والدتهـا -حفظهـا الله وبـارك فـي عمرها-

فهمت من ذلك أنها ستموت وقالت: «البيت الذي ليس له شبابيك هو القبر».

وقالت لي مرةً: «إنهـا رأت أنها ذاهبة إلى عمرة» فلم أفهـم أيضًـا أنهـا سـتموت، لأن العمرة ذهـاب إلى الله أيضًـا. فقلت لها: «إن شـاء الله نخرج عمـرة بعد الحج مباشرة».

وقالت لي أيضًا: «رأيتك تركب سيارة حمراء جديدة، أنت تقودها، وصحتك أحسن من الأول».

فلم أفهم أيضًا وقلت لها: «أنا ماليش في السـيارات، ولا أقـود السـيارات» وبعد وفاتهـا تبين لي أنَّ السـيارة حياة جديدة، خاصة وهي تقول: »وصحتك أحسـن من الأول.

وكان سـبب عـدم توفيقي فـي تعبير هذه الـرؤا أنني

كنت أستبعد أن تفارقني بهذه السرعة وأن أُحرم منها، وأنا في حاجة إليها، وكان ما يخيفني المحبة الشديدة بيننا، وأن هذه المحبة تزداد بصورة بشعة، فكنت أقول لها: «إحنا حنوصل لفين»، فكان غياب يوم واحد كفيل بشوق شديد لا يكاد يحتمل، وكنت أبقى معها اليومين، والثلاثة وبمجرد سفري تتصل بي وتقول: «وحشتني».

ودرجات محبة المخلوق متفاوتة جدًّا حتى قال بعضهم:

وكنت أرى أن قد تناهى بي الهوى

إلى غاية ليس لي بعدها مذهبُ

فلمَّا تلاقينا وعاينت حسنها

تبين لي أنني كنت ألعبُ

فكيف بمحبة الخالق عَزَّ وَجَلَّ؟

فلعـل اللَّـه ﷻ اختارها إلى جواره فـي جنته وأبقاني للدعـوة إليه، ولعله يعوضني عنها خيرًا مع جزاء الصبر، فما أصيب أحد ببـلاء، وعوضه الله ﷻ الصبر، لكان ما أعطـاه اللـه ﷻ للعبد، خيـرًا مما ذهب منـه. والحديث صريـح في ذلـك وهو قوله ﷺ: «وما أعطـي أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر».

اللهم اجعلنا من الصابرين.

كنـت أقـول لأم زيد: «لـو لفيت العالـم مش حلاقي ظفرك».

خرجـت إلـى العمرة مـع أم أولادي -بـارك الله في عمرهـا، وفي أولادي جميعًـا-، واتصلت وأنا في مطار برج العرب بأم زيد، فأخبرتني أنها ذاهبة إلى الطبيبة التي كانـت تتابع معها في الحمل، وكانت هذه المرة الأخيرة

التي سمعت فيها صوتها.

ولما وصلت إلى المدينة المنورة اتصلت بأخيها فأخبرني بأنها بحمد الله ولدت طفلة وهي بخير، ولكن أم زيد تعاني من نزيف حاد فأكثرت لها من الدعاء، وأكثرت كذلك الاتصال بأخيها، واستمر النزيف وقلت: غاية النزيف في الولادة الطبيعية استئصال الرحم وهي -بحمد الله- عندها ثلاثة أولاد، ولم أكن أتصور أيضًا أن يصل الأمر إلى ما وصل إليه، ولكن إهمال الطبيبة التي كانت تعالجها هي وزوجها وهو طبيب نساء أيضًا كان من أسباب هذه النهاية المؤلمة، حيث تركت بالمستشفى العام أربع ساعات وهي تنزف فدخلت غرفة العمليات لاستئصال الرحم وقد فارقت الحياة، فظُلمت في حياتها وعند وفاتها، ولم تسعد إلا عشرة

أشهر كانت معي فيها -فأسأل الله أن يعوضها خيرًا وأن يسعدها في الآخرة-.

وفي الحادية عشرة وأنا في الفندق في المدينة المنورة، أتتني هذه الرسالة التي مزَّقت قلبي وفجَّرت عيني: «إنا للَّه وإنا إليه راجعون توفيت -رحمها اللَّه- زوجتك سحر نظمي» .

فلا أدري بأي عين قرأت هذه الرسالة، وبأي قلب تحملتها لولا بقية من إيمان وصبر واحتساب.

استرجعتُ من أبشع رسالة قرأتها، ومن فراق أحب الناس إلى قلبي، وأردت أن أقوم بحقها بعد وفاتها، فأكثرت لها الدعاء، وعليها البكاء، واتصلت بوكيل أعمالي حتى يبلغ أكبر عدد يصلي عليها ويدعوا لها، ومع أنها دفنت قريبًا من منتصف الليل، إلا أن العدد

كان ينوف على الألف كما أخبرني أحد إخواني، وكانوا يستشعرون أنهم في جنازة أحد شهداء المعركة.

وخفف عني هول المصاب حسن خاتمتها، فقد أخبر النبي ﷺ أن المرأة تموت في نفاسها شهيدة، وأخبرتني الأخت الفاضلة التي لازمتها في الولادة حتى فارقت الحياة أنها كانت تدعو لي كثيرًا، وتقول: جزاه الله عني وعن أولادي خير الجزاء، وكانت تقول: كانت عشرته طيبة، وتقول: اللهم خليه لأولاده.

فجزاها الله عني خير الجزاء وأسكنها دار الشهداء.

وأحسن ما أختم به هذه الرسالة «وداعًا أم زيد» أن أخبر عما ختمت به أم زيد حياتها، قالت الأخت التي لازمتها أن آخر ما تكلمت به: «سيبوني أدخلها بقى».

وكأنها عاينت مكانها في الجنة، وتتعجل خروج الروح،

حتـى تدخل الجنة. -اللهم اجعلها من أهلها، واجمعني بها في الجنة-.

قـال عمـر بـن الخطـاب رضي الله عنه: احضـروا موتاكـم، وذكروهـم، فإنهم يرون ما لا تـرون، ولقنوهم لا إله إلا الله.

كَتبتُ هذه الرسـالة «وداعًا أم زيد» وفـاءً لزوجتي أم زيـد، واللَّه الموعد أسـأل أن يجمعني بهـا في الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

«وداعًا أم زيد».

الفهـــرس